المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 11

رمضان ١٤٣١

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

فصاحته وبلاغته صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وحبى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أفصح لسان وأشجع جَنان، فهو أفصح ولد عدنان، وأشجع إنسان، لا يختلف في ذلك قولان، ولا يختصم عليه اثنان، وبعد ،،،

فإن الكلام عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطرب القلوب، وينعش النفوس، ويوقظ في الروح مزيجاً من المعاني السامية والخصال السنية التي اجتمعت فيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإن من أَجَلِّ هذه الخصال التي تميز بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفصاحة والبلاغة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أفصح البشر على الإطلاق، وكيف لا يكون كذلك وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين الذي ربَّاه رب العالمين، وعلى قلبه نزل القرآن العظيم، تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته وبلاغته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الخطابي رحمه الله في (غريب الحديث) عند ذكر فصاحته صلى الله عليه وآله وسلم: "وما يؤثر من حسن بيانه أن الله عز وجل لما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف، ثم أمده الله بجوامع الكلم التي جعلها رداءاً لنبوته وعلَماً لرسالته، لينتظم في القليل منها عِلم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه، ولا يؤودهم حمله، ومن تتبع الجوامع من كلامه لم يعدم بيانها ..."، وقال الإمام السيوطي رحمه الله في (المزهر): "أفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين جلَّ وعلا"، وقال رحمه الله: "ومن فصاحته وحسن بيانه أنه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تُسمع من العرب قبله و لم توجد في متقدِّم كلامها"، ثم قال: "ومن حسن بيانه ترتيبُ الكلام وتتريلُه منازله"، فلو نظرت إلى كلام سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأملتها لرأيت ضرباً رائعاً من تناسق المعاني

وترابط الأفكار وترتيب الألفاظ وجمعها وتبيينها على نحو يظهر المعنى ظاهرَه وباطنه، ويعرض الواقعة بإجمال دون إخلال، ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم بُعث مُبَلِّغا ومعلِّماً، فهو لا يزال في كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بمعروف وينهى عن منكر، ويشرِّع في حادثة ويفتي في نازلة، والأسماع إليه مصغية، والقلوب لما يرِد عليها من قوله واعية، وقد تختلف عنها عباراته ويتكرر فيها بيانه ليكون أوقع للسامعين وأقرب إلى فهم من كان منهم أقل فقهاً وأقرب بالإسلام عهداً.

وقال الجاحظ في (البيان والتبيين): "وأنا ذاكر بعد هذا فنًّا آخر من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزِّه عن التكلُّف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى في حقِّ جنابه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينْ ﴾(ص: من الآية ٦٨)، فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقَبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا".

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف. أوتى جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع

الحكم، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله"، وقال أيضاً: "ومن تأمل حديثه وسيرته علم ذلك وتحققه، وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني، وطِهفه النهدي، وقطن بن حارثة العليمي، والأشعث بن قيس، ووائل بن حجر الكندي، وغيرهم من أقيال حضرموت، وملوك اليمن"، وقال ابن الأثير في (النهاية): "قد عرفت أيدك الله وإيانا بلطفه وتوفيقه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً، وأسددهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقواهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب"، إن رُمتَ كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازَى فصاحة ولا يبارَى بلاغة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: p الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ i (رواه النَّسائي)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: p النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمِشْطْ i (رواه الشهاب في المسند)، و p الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ i (رواه الطبراني في الأوسط)، و p لا خيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لاَ يرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ الذِي ترَى لَهُ i (رواه ابن حبان في روضة العقلاء عن سهل بن سعد)، و p النَّاسُ مَعَادِنٌ i (رواه البخاري)، و p مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهْ i (رواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة)، و p الْمُسْتَشَارُ بِالْخَيَارِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ i (رواه ابن وهب في الجامع)، و p رَحِمَ اللَّهُ امرأً تكلَّمَ فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمْ i (رواه الشهاب في المسند)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: p أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ i (رواه البخاري)، و p إنَّ أحبَّكُمْ إِليَّ أحاسِنُكُمْ أَخْلاقاً الْمُوطِئونَ أَكْنَافاً الذِينَ يأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونْ i (رواه الطبراني في الصغير)، وغَيْرُهَا الكثير.

ومن الكلمات التي لم يُسبق إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: p حَمِيَ الوَطِيسْ i (رواه مسلم)، و p مَاتَ حَتْفَ أنفِهْ i (رواه أحمد)، و p لاَ يُلْدَغُ الْمُؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنْ i (رواه البخاري في الأدب المفرد)، و p إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهْ i (رواه الطبراني في الكبير)، و p أفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ i (رواه النسائي)، و p حُبُّكَ للشيءِ يُعْمِي

وَيُصِمّ i (رواه ابن عساكر)، و p الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى i (رواه البخاري)، و p كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ i (رواه البخاري)، إلى غير ذلك مما يدرك الناظرُ العجبَ في مضمونها، ويذهب به الفكر في حِكَمِها، وقد قال الأصحاب عليهم الرضوان: "يا نبي الله ما رأينا الذي هو أفصح منك"، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وإني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر i (رواه العسكري والرامهرمزي في الأمثال)، لقد جمع الله له بذلك بين قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، مصحوبة بالتأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري، وقالت أم معبد رضي الله تعالى عنها في وصفها له صلى الله عليه وآله وسلم: p حلوَ المنطِقِ فَصْلاً لا نزر و لا هذر كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَازَاتِ نَظْمٍ يَتَحدَّرْنْ i (رواه الحاكم في المستدرك).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفيض علينا من بركات سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يرزقنا رشفة من يده الشريفة على حوضه المورود فلا نظمأ ولا نشقى أبداً، اللهم آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

من عظماء الإسلام

أم المؤمنين

السيدة أم سلمة عليها السلام

اسمها عليها السلام:

هي السيدة المحجبة الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية، وأمها عاتكة بنت عامر ابن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فراس، وكان جدها المغيرة يقال له: زاد الركب، وذلك لجوده وكرمه، حيث كان لا يدع أحداً يسافر معه حاملاً زادَه، بل كان هو الذي يكفيه الزاد والمئونة.

مولدها ونشأتها وزواجها عليها السلام:

ولدت عليها السلام بمكة المكرمة قبل بعثة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة عشر عاماً، كانت عليها السلام من أجمل النساء طلعةً وأشرفهن نسباً، ونشأت في كنف أبيها وأمها حتى تزوجت من سيدنا أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي رضي الله تعالى عنه أخي سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة فأكرمها وشرفها، وولدت له أربعة أولاد، ثم حصل أن جرح رضي الله عنه في غزوة أُحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ، ثم خرج بعدها في سرية "قطن" فغنم نعماً ومغنماً جيداً وبعد إقامته بقليل انتقض عليه جرحه فاستشهد رضي الله تعالى عنه، وكانت السيدة أم سلمة عليها السلام قد قالت لأبي سلمة رضي الله عنه: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعالَ أعاهدْك ألا تَزوَّجَ بعدي ولا أتزوج بعدك، قال: أتطيعينني؟ قالت: نعم، قال: إذا مِتُّ تزوجي، اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات قُلت - أي السيدة أم سلمة -: من خير من أبي سلمة، فما لبثت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم p فقام على الباب فذكر الخِطبة إلى ابن أخيها أو ابنها i ، فقالت: أرد على رسول الله أو أتقدم

عليه بعيالي ثم جاء الغد فخطب، وعن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن السيدة أم سلمة عليها السلام لما انقضت عدتها خطبها سيدنا أبو بكر عليه السلام فردَّته، ثم سيدنا عمر عليه السلام فردَّته، فبعث إليها سيدنا ومولانا رسول الله فقالت: مرحباً، أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أني غَيْرَى وأني مُصْبِيَة، وليس أحد من أوليائي شاهداً، فبعث إليها - أي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -: p أما قولك إني مُصْبِيَة فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك إني غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي i ، قالت: يا عمر قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن حبيب بن أبي ثابت قال: قالت السيدة أم سلمة عليها السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلمني وبيننا حجاب فخطبني، فقلت: وما تريد إليَّ؟ ما أقول هذا إلا رغبةً لك عن نفسي، إني امرأة قد أدبر من سِنِّي، وإني أم أيتام وأنا شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء، قال صلى الله عليه وآله وسلم: p أما الغيرة فيذهبها الله وأما السن فأنا أكبر منك وأما أيتامك فعلى الله وعلى رسوله i ، فأذنت فتزوجني، وكانت عليها السلام تشكو لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل زواجها منه فقدها لزوجها، فكان يقول لها صلى الله عليه وآله وسلم: p قولي اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها i ، وقالت: ثم إني رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما تزوجت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قلت: فقد أبدلني الله خيراً منه، رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.

مواقفها عليها السلام:

كان للسيدة أم سلمة عليها السلام العديد من المواقف الجليلة التي تدل على رجاحة عقلها وعظيم حكمتها، منها ما أشارت به على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية، وذلك أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما صالح أهل مكة وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: p قوموا فانحروا ثم احلقوا i ، فلم يقم منهم رجل بعد أن قال ذلك ثلاث مرات، فقام سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل على السيدة أم سلمة عليها السلام فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له السيدةُ أم

سلمة عليها السلام: اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، p فقام صلى الله عليه وآله وسلم فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه i ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً.

مناقبها عليها السلام:

تعد السيدة أم سلمة عليها السلام من الصحابيات الفقيهات، إذ إنها روت الكثير من حديث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي ثاني راوية للحديث بعد أم المؤمنين عائشة عليها وعلى أبيها السلام، حيث إن لها جملة من الأحاديث قدرت حسب كتاب بقي بن مخلد ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً اتفق لها الإمامان البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد الإمام البخاري بثلاثة، والإمام مسلم بثلاثة عشر، ومجموع مروياتها حسب ما ورد في تحفة الأشراف مائة وثمانية وخمسون حديثًا.

وفاتها عليها السلام:

كانت أم المؤمنين أم سلمة عليها السلام آخر من مات من أمهات المؤمنين عليهن السلام، فقد عمرت حتى بلغها مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلا يسيرًا حتى انتقلت إلى رحمة الله تعالى سنة ٦٢ هجري، وكانت قد عاشت نحواً من تسعين سنة، وصلى عليها سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وقيل صلى عليها سيدنا سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم، رحمها الله تعالى رحمة واسعة وألحقنا بها، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من أدب الإسلام

آداب الصوم

الحمد لله الذي شرع لعباده الشرائع لحكم بالغة وأسرار، ورَتَّبَ على صيام رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا مغفرةَ الذنوب والأوزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الغفار، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان آناء الليل والنهار، وبعد ،،،

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة:١٨٣)، فيا أيها الصائمون، اعبدوا ربكم، وصلوا فرضكم، وصوموا شهركم، واعلموا أن من حِكم الصيام وأسراره أن يكون عوناً للعبد على طاعة الله وتقواه، فيجتهد في فعل الخيرات واجتناب المحرمات، فلا ينبغي أن تقتصر على صوم رمضان فتترك التجارة بالنوافل، وكسب الدرجات العالية في الجنان.

أخي الصائم: ليس الصيام ترك الطعام والشراب والجماع فقط، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: p كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِنْ صِيامِهِ إلا الجوعُ والعَطَشْ i (رواه أحمد)، بل تمام الصوم يكون بِكَفِّ الجوارح كلها عما نهى الله تعالى عنه، فينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكاره، واللسان عن النطق بما لا ينفع، والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله تعالى، ففي الحديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: p خمسٌ يُفَطِّرْنَ الصَّائِمْ: الكَذِبُ، والغِيبَةُ، والنميمَةُ، واليَمينُ الكاذِبَةُ، والنَّظَرُ بِشَهْوَةَ i (رواه الديلمي)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: p إِنَّ الصِّيَامَ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ i (رواه أحمد)، فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.

ومن الآداب كذلك أن تعجل بالإفطار وتفطر على ماء وتمر، ثم لتصلِّ المغرب حتى يهيأ جسده لاستقبال الطعام، ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال، ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة.

وعليك أيها الصائم أن تحرص على الدعاء، فإن للصائم عند فطره دعوة لا ترد، فقد روي عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أفطر قال: **p** اللهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ **i** (رواه البيهقي)، واسأل الله تعالى القَبول لأعمالك، فإنه المعول عليه، ولقد كان سيدنا إبراهيم الخليل وولده سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام يرفعان القواعد من البيت، وهما يقولان: **(** رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ **)**(البقرة: من الآية١٢٧)، وإن من علامة القَبول أن يوفق العبد للتقوى، فإنما يتقبل الله من المتقين، فمن اتقى الله تعالى ظاهراً وباطناً كان حرياً بالإجابة.

كذلك عليك أخي الصائم أن تهتم بالسحور، فقد وصى به سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **p** تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً **i** (رواه البخاري)، والأفضل تأخير السحور إلى آخر الليل، ففي الحديث عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** لا تَزالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السُّحُورْ **i** (رواه أحمد)، وإذا قدَّم أحد السحور، وفرغ قبل طلوع الفجر، ونوى الصيام، ثم اشتهى أن يأكل فلا بأس أن يأكل حتى يطلع الفجر لقوله تعالى: **(** وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ **)**(البقرة: ١٨٧)، والخيط الأبيض النهار والأسود الليل، وإن الواجب على المؤذنين أن يتحروا، فلا يؤذنوا حتى يطلع الفجر.

أيها الإخوة الصائمون، اعمروا أوقات هذا الشهر الفضيل بالذكر والقراءة والصلاة، وتعرضوا فيه لنفحات المولى عز وجل بكثرة الدعوات وكثرة الإحسان إلى الخلق والعفو عنهم، فإن الله تعالى يحب المحسنين، ويحب العفو عن المسيئين، وجودوا على الفقراء في هذا الشهر بالزكاة والصدقات، فإن الله تعالى جواد يحب الجود، ولقد كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فسيدنا ومولانا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، لا تحقرن من المعروف شيئاً، واتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن الرجل ليتصدق بعدل تمرة من كسب طيب، فيربيها الله له حتى تكون مثل الجبل، فإذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت، فإنه من أجل العبادات وأعظم القربات؛ وقد قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن الله تعالى: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصَّوم، فَإِنَّهُ لِي وَأَنا أَجْزِي بِهِ)(رواه البيهقي)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: p وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ i (رواه مسلم).

نَسأَلُ اللهَ العَلِيَّ العَظِيمَ أَنْ يُعينَنا عَلَى صيامِ رمضانَ وقيامِهِ إيماناً واحتساباً، وأن يُجْزِلَ لنا الثَّوابَ ويرزُقَنا رفقة سيد من صام رمضان وقامه، سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته الأطهار وأصحابه الطيبين الأبرار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من وظائف العام

شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله الطيبين وصحبه الخيرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

هبَّت على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، وللمستوجبين النار بالعتق، فقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: p قَالَ اللَّهُ: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ i ، فرمضان هو شهر الصبر كما سماه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: p الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْر i (رواه الإمام مالك في الموطأ)، وقد قال المولى تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(الزمر آية ١٠).

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، وصبراً عمَّا حرم الله على الصائم من الشهوات، كما أن في التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد: منها كسر النفس، وتخلي القلب للفكر والذكر، وإن الغَنِيَّ يعرف فيه قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح، وبالصيام كذلك تضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد

التقرب إليه بترك ما حرمه الله في كل حال، من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ i (رواه البخاري).

والصائمون على طبقتين:

إحداهما: من ترك طعامه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا تَاجَرَ مع الله وعَامَلَه، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح، وقد روي عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لرجل: p إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ i (رواه أحمد)، فهذا الصائم يعطى في الجنة ما شاء الله مما يشتهي ويحب، قال تعالى: (كُلُوا واشْرَبُوا هنيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةْ)(الحاقة ٢٤)، قال مجاهد وغيره: "نزلت في الصائمين".

والطبقة الثانية: من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبِلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته، ولله درُّ القائل:

أهلُ الخُصوصِ مِنَ الصُّوَّامِ صَوْمُهُمُ صَوْنُ اللسانِ عن البهتان والكذبِ
والعارفونَ وأهلُ الأُنْسِ صومهم صونُ القلوب عن الأغيارِ والحُجُبِ

شهر رمضان شهر الجود:

فقد ورد في الصحيحين عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: p كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة i ، وفي تضاعف جوده صلى الله عليه

وآله وسلم في شهر رمضان دروس وفوائد كثيرة، منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه، وإعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة و المغفرة والعتق من النار لاسيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، ومنها أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة وهو أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها وخصوصاً إنْ ضَمَّ إلى ذلك قيام الليل، ومنها: أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ عمَّا ينبغي التحفظ منه والصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله تعالى، فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله و آثر بها أو واسى منها، وله فوائد أُخَر: قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: أَحَبُّ للرجل الزيادةُ في الجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

العشر الأواخر من رمضان:

ورد في الصحيحين عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: p كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ i (رواه البخاري)، وفي رواية لمسلم عنها عليها السلام قالت: p كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ i ، وكان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، منها: إحياء الليل، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يشد المئزر ويوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيرها من الليالي، ويغتسل بين العشاءين، ومنها: الاعتكاف.

ليلة القدر:

ورد في الصحيحين عن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أَنَّ رِجَالا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: p أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ i ، وفي مسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم: p التمسوها في العشر الأواخر فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي i ، وفي مسلم عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ i ، وفي رواية للبخاري: p فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ i ، وقد ثبت عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ i (رواه البخاري)، وقيامها إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السيدة عائشة بالدعاء فيها حيث قالت بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو، قَالَ: p تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي i (رواه ابن ماجه)، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يتهجد في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر فيها بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها والله أعلم.

وداع رمضان:

أخرج البخاري من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: p مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ i ، وروي عن سيدنا الإمام علي عليه السلام أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: "يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه"،

وعن سيدنا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان يقول: "من هذا المقبول منا فنهنِّيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه، أيها المقبول هنيئاً لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك !"

كم فات من فاته خير رمضان، وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان، كم بين من حظي فيه القبول والغفران، ومن حظي فيه الخيبة والخسران، فرب قائم حظُّه من قيامه السهر، ورُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش.

لَمَّا سُلسِل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام، انعزل سلطان الهوى وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبق للعاصين عذر، يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقى والإيمان على قلوب العاشقين اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي، يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المجاهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك و يا سماء النفوس أقلعي، يا بروق العشاق للعشاق المعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي، قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلا وقد دعي، فيا همم المؤمنين أسرعي، فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

قبسات من المجلة الزيتونية

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

سؤال: هل الدين فوق العقل والعلم كما يقول غيرنا (غير المسلمين)، أو العقل والعلم فوق الدين فيؤدي إلى التحسين والتقبيح العقليين وهو مذهب اعتزالي، لقد أشكلت علينا أصول وفروع في الشريعة الإسلامية المطهرة، فمنها ما يقتضي أن الشرع المحمدي مبني على الأصل الأول، ومنها ما يقتضي أنه مبني على الثاني، أجيبوا مأجورين.

إن هذا السؤال رفع إلي في السنة الفارطة وكنت أجبت عنه في محاضرة ألقيت ملخصها بمكناس أول قعدة الحرام ١٣٥٤ هـ، وكانت تلك المحاضرة تأليفاً في أكثر من ثمانين صفحة فرأيت الآن أن ألخصها هنا وفقاً لرغبة من رغبوا في ذلك مع تصرف بزيادة ونقص يسير وتغيير أسلوب، فأقول: إن هذه مسألة من أهم مسائل الدين والاجتماع، بل من المشكلات التي يهم عموم المسلمين في سائر المعمورة حلها، وعنها وبها يحصل حل معضلة من معضلات المدنية العصرية، فلقد وقفت على مقالات منشورة في مجلات وجرائد الإسلام بالشرق والغرب تلوح على سيماها الحيرة قائلة كيف أن الإسلام لما بلغ من الكثرة والانتشار على بسيطة الأراضي الغنية المتصلة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في آسيا وإفريقيا وفي غيرهما حتى ناهز الأربعمائة مليون، عند ذلك ظهر ضعفه ومرج أمره وصار عالة على غيره ولحقه من الهوان ما لم يلحق أي أمة أخرى قبله ولو أمة إسرائيل الضعيفة، إن أمة إسرائيل لها عذر القلة والتشتت في بقاع المعمورة، أما الإسلام فبخلاف ذلك كله فلا عذر له، بل إن أمة إسرائيل طمعت الآن أن تكون من جملة فاتحيه ومستعمري بقاعه المقدسة.

وكثير من أصحاب تلك المقالات يصرح أو يشير إلى أن لا سبب لذلك سوى التمسك بالدين المخالف للعقل والعلم، وممن صرح بذلك مؤلف كتاب (مصطفى كمال) الذي طعن الدين في الصميم بل جميع الأديان وشنع على أصوله بأنها غير موافقة للمعقول بل هي ضد العقل وضد

العلم، وعلى فروعه بأنها ضد مصلحة الأمة وضد الترقي والتطور وإنما هي جمود على عادات العرب الصحراويين وعقليتهم التي لا توافق أذواق الأمم الإسلامية الراقية سواهم، وإنهم أتوا بدين موافق لذوقهم الفاسد (في ظنه) وعوائدهم المبنية على مألوفات الصحراء وعلى التوحش، وفرضوها فرضاً على كل من دخل في دينهم طوعاً أو كرهاً من الأمم العريقة في المدنية.

كما طعن في سائر النبوات، ولذلك رأى أن الواجب على أمة تريد النهوض نبذ الدين ونبذ العقلية العربية بل الشرقية، ورأى أن المدنية الحقيقية كتلة واحدة تؤخذ كلها بأجمعها أو تترك بأجمعها ولا تتجزأ، وأن المدنية في زعمه هي العقلية الأوروبية والمدنية الغربية، فتؤخذ بما فيها من معتقدات وعادات صالحة أو فاسدة وتقلد تقليداً أعمى (يعني لتصير الأمة لا دينية)، إلى غير هذا مما أطال به من المطاعن التي يهتدي المبتدئون إلى فسادها بمجرد ما عندهم من تعاليم ابتدائية وعلوم ضرورية في أكثر نقطها، ثم إني لم أر أحداً من علماء الإسلام رد عليه ونقض ما أبرمه، مع أنه من آكد الواجبات، نعم هناك نقطتان مهمتان لا يهتدي لردهما إلا من له تعمق في درس الشريعة الإسلامية، واقتدار على نقد ما ألصق بها مما ليس منها:

النقطة الأولى: كون فروع الشريعة الإسلامية غير موافقة لمصلحة الأمة ولا صالحة لعموم الأمم الإسلامية المختلفة الأقطار والأجواء والعادات والأفكار، وهذه المسألة سبق مني أن أشبعت القول في كثير كلياتها وجزئياتها في كتابي الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي في مواضع منه:

١ - التمهيد الثالث أول الكتاب.

٢ - مبحث أصل القياس وأسرار التشريع.

٣ - تاريخ نزول بعض الأحكام كتعدد الزوجات والطلاق.

٤ - ترجمة أبي حنيفة.

٥ - أصول الحنفية.

٦ - مبحث الاجتهاد والتقليد.

وفي كتابي أيضاً تعليم الفتيات لا سفور للمرأة، ومن جملة ما يتعلق بهذا المبحث زعمه أن القرآن منعت ترجمته إلى لغات الأمم التي دخلت الإسلام ثم كلفت بالعمل به وذلك مخالف للمعقول، وهذا صدرت مني فيه فتوى عام ١٣٥٠ ه طبعت في مجلة المغرب العربية بالرباط عام ١٣٥٣ هـ بنقض فكرته وأنه لا مانع من ترجمة القرآن العظيم بل تجب وجوباً كفائياً، وقد اكتفيت بما سبق مني في الكتب الثلاثة المذكورة فهي كافية في الرد عليه قبل أن أسمع بوجوده.

النقطة الثانية: كون الشريعة ضد العقل والعلم وأنها تكلف الناس اعتقاد ما يضاد العقل وأن يعملوا خلاف ما يقتضيه العلم العصري الحديث، وهذه المسألة من أعوص المسائل حلاً، ولم أقف على من ألف فيها تأليفاً يتتبع فيه فروعها وأصولها ويأتي ببرهان واضح على نقض ما أبرمه أهل الإلحاد ورد جنايتهم على الإسلام، وفي نظري أنه واجب على علماء الأمة الاعتناء بها وتخصيصها بتأليف برهاني يزيل عن عقول الأمة وعقول الناشئة الإسلامية سُحب الشكوك والأوهام، لذلك تصديت في هذه المحاضرة لإقامة البراهين على حل هذه المعضلة وتبرئة الإسلام من وصمتها.

ولعلك إذا أمعنت النظر فيما سأورده من الأدلة والبراهين على نقض هذه الشبهة وإثباتنا بدليل واضح لا يقبل التشكيك أنه لا يوجد في الإسلام عقيدة واحدة بل ولا فرع واحد مبني على ما يضاد العقل أو يناهض العلم، بل ستمر أمامك أدلة وبراهين لا تقبل التشكيك تبين لك نقيض ذلك وتثبت لديك ضرورةً أن الإسلام دين موافق للعقل معاضد له، وأنه دين العلم، دين مبني على تحرير الفكر من قيد التقليد، غير مضاد لشيء من قواعد العلم الصحيح الثابتة على أساس الامتحان العلمي، وبذلك يتبين لك أن مؤلف كتاب (مصطفى كمال) جاهل بدين الإسلام غير متذوق له ولا شم رائحته الحقيقية، وإنما سمع الرهبان والملحدين أضداد الإسلام يقولون شيئاً فقاله تقليداً، في حال أنه ينكر التقليد ويعيبه.

تنقيح: قبل الشروع في جواب السؤال لابد من تحديد ألفاظ في السؤال وهي: الدين، العقل، العلم، لئلا يبقى إجمالاً ويكون الجواب مطابقاً.

الدين: ليس المراد بالدين ما أطلق عليه في حديث البخاري p ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم i ، بل المراد أصول الدين من كتاب وسنة وإجماع، يعني مدلولاتها القطعية، فإذا دل أحد أصول الدين على مدلول دلالة قطعية ثم عارضها أمر عقلي قطعي أو علمي قام البرهان الحسي والامتحان العلمي على صحته والجزم به.

العقل والعلم: ليس المراد بالعقل في السؤال جوهره اللطيف الذي به يدرك الإنسان ويستنتج المجهول من المعلوم، بل المراد القضايا والأحكام التي دلت البراهين العقلية على إثباتها قطعياً لا يحتمل النقيض إما مستقلاً وحده بشعوره الفطري ككون الواحد نصف الاثنين، واستحالة اجتماع النقيضين، أو بواسطة استناده لحس أو تجربة أو عادة استناداً يسلمه العلم والاختبار أو المشاهدة لا يمكن أن يتغير النظر في ذلك أو يختلف الدليل مع طول الأزمان وتغير الأحوال بحيث إن العقلاء امتحنوا امتحاناً علمياً قطعياً فدل الامتحان على أن الدلالة يقينية لا شك يحصل في صحتها أو الغلط فيها أو تغيرها بتغير الأحوال، هذا المراد بالعقل والعلم في السؤال.

ولا يكفي في قطعية الدلالة أن يجيء أحد فلاسفة اليونان أو الهند أو الإسلام فيما سبق أو أوربا أو أميريكا الآن فيؤسس نظرية عقلية أو علمية يجزم بأنها قطعية فيتلقاها عنه تلاميذه بالقبول وتشيع في العالم مع شيوع جلالة القائل ويطبقها على جزئيات عديدة فتنطبق وتسلم من لدن جماعة وتصير فقهاً مسلَّماً، فليس ذلك طريق اليقين، بل طريقه الامتحان العلمي امتحاناً يثبت لنا القطع بما دلت عليه لا يحتمل التغير في أي وقت كان وتنطبق على جميع الجزئيات لا تشذ منها واحدة، إذ إن الإنسان كيفما كان عرضة للغلط، ولا زلنا نرى كل يوم إصلاح أغلاط في قواعد الفلاسفة العظام زعموا بناءها على المشاهدة من المتقدمين والمتأخرين في الفلك والكواكب وصورها وسعتها، وعدد النجوم السيارة وكيفية سيرها وأبعادها ومقدارها وكيفية حركاتها، بل وفي طبائع الأدوية والعلاجات الطبية وغير ذلك مما هو مشاهد، حتى أن الأرض مع كونها كروية الشكل وقامت الأدلة الحسية على ذلك ولا تقبل الخدش، قد مضى زمن طويل على علماء كانوا يعتقدون أنها

منبسطة، حتى ساء ظننا بكل قاعدة عقلية وكل برهان فلا نسلِّم منه إلا ما سلمه الامتحان الفني والعيان.

ولقد كان المسلمون من أول من ناقش الفلاسفة العظام ولاحظوا عليهم وصححوا أغلاطهم؛ لأن القرآن والدين ينهياهم عن التقليد، وذلك الذي جرأهم على النقد النزيه والشجاعة الأدبية، ثم لما جاءت امتحانات أوربا الفنية وآلاتها وصنائعها المتقنة واختراعاتها واكتشافاتها المدهشة وقربت المواصلات تأيدت فكرة الإسلام وزادت القواعد إتقاناً وإحكاماً، فتحرير موضوع السؤال هل القرآن أو السنة المتواترة أو الإجماع الصريح إذا دل واحد منها دلالة قطعية لا تحتمل النقيض على أمر قد دل على نقيضه دليل عقلي أو علمي بعد الامتحان وتأييد المشاهدة يقدم هو عليها أو تقدم هي عليه، أما إذا لم يتحقق شرط القطع في أحد الشقين المتقابلين بحيث صار من حيز المظنون فهذا لا إشكال أنه لا اعتبار بالمعارضة، بل القطعي مقدم والمظنون مؤول أو مفوض فيه إن كان شرعياً، ومنبوذ إن كان عقلياً أو حسياً، إذ الدليل القاطع لا يكون في مقابلته دليل صحيح فضلاً عن أن يكون ظنياً، فالتوازن بين القطعي والظني منبوذ عند العقلاء، فمهما كان في كفة الميزان دليل قطعي إلا وشالت كفة الظني، بل صار لغواً باطلاً أو مؤولاً.

أما إذا كان الخبر آحاداً أو كانت دلالة المتواتر ظاهرة فقط غير قطعية أو كان الإجماع سكوتياً فهذه كلها في صف المظنون، فلا تقاوم المقطوع به البرهاني أو ما دل عليه الاختبار العلمي العياني، فإذا تعارضت مع واحد منهما فلا خلاف أنه إذا لم يمكن الجمع فإنا نرجح القطعي على الظني، فنفوض أو نؤول الظني بما يوافقه؛ لأن القطعي مقدم باتفاق المسلمين على الظني، والقرآن ينهى عن اتباع الظن الذي يناقض اليقين، قال تعالى: ﴿ وإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾(النجم ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونْ ﴾(الأعراف ٣٣)، وزعمت المعتزلة أن الدلائل السمعية من كتاب وسنة لا تفيد اليقين لتوقفها على العلوم اللغوية مثلاً في المفردات على النحو في المركبات، وهذه العلوم إنما ثبتت بنقل الآحاد عن العرب وبالأقيسة النحوية والكل ظني تتوقف على ثبوت عدم نقل تلك الألفاظ عما كانت تطلق عليه زمن النبوءة ليتعين المراد على عدم

الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم النسخ وعدم التقديم والتأخير، والكل لا جزم بانتفائه فغايته ظن، ثم بعد ذلك كله لابد من عدم المعارض النقلي والعقلي، إذ لو وجد لقدمنا القطعي على الظني قطعاً، فهذه احتمالات عشرة كلها توجب نفي القطع عن الدلائل السمعية، والحق أن الأدلة السمعية قد تفيد القطع بقرائن مشاهدة أو متواترة تدل على انتفاء هذه الاحتمالات الوهمية كلها، فإنا نعلم ما هو المراد من لفظ الأرض والسماء وأمثالها في القرآن والسنة، والتشكيك في ذلك بهذه الأمور سفسطة يؤدي إلى التشكيك في العلوم كلها الفلسفية وغيرها، وتبطل مدلول علم التاريخ والآثار وما كتب على الأحجار، وتبطل العقود والأحكام وكثيراً من علوم البشر، ولو أن العلم عمل بهذه الأوهام وهذه الاحتمالات والتشكيكات ما ترقت علوم البشر ولا وصل الكون لهذه الدرجة المشاهدة، ونحن نعلم أن الله تعالى نعى على من يعمل بالظن في العقائد، ثم بيَّنها في القرآن وكلفنا باعتقاد ما دل عليه القرآن، وذلك دليل على أنها يقين لا ظن، فثبت أن الدليل السمعي قد يفيد اليقين وأن هذه تشكيكات فلسفية غير ناضجة.

بقلم العلامة المصلح الإمام الشيخ محمد الحجوي

وزير معارف الحكومة المغريبية سابقاً

علماءُ من غزة

العارف بالله

علي بن مروان الحسيني الغزي

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الهمام والولي المقدام العارف بالله أبو الحسن علي بن مروان بن عبد الله بن محمد بن مروان بن عبد الرازق بن أحمد بن شرف الدين بن عبد الناصر بن عامر بن محيي الدين بن مرعي بن إبراهيم بن حازم بن يونس بن أحمد بن إبراهيم بن بشر بن موسى الكاظم الحسيني، سليل العترة النبوية الطاهرة، وأحد أقطاب غزة هاشم العامرة.

مولده ونشأته:

ولد رضي الله تعالى عنه بأشبول من بلاد المغرب، وتربى على علمائها وأقطابها، كما تربى على والده العارف بالله الشيخ مروان دفين مصر، وسافر معه إلى مصر حيث فارق والده هناك، وساح في البلاد للهدى والإرشاد والورود على موائد العلماء، إلى أن توطن غزة وصار قطبها ومنارها، وكان له فيها المقام الكبير والدرجة العالية، واختار جامع ابن مروان معبداً وزاوية له، الذي سُمي باسمه ونُسِب إليه حتى صار يعرف به رضي الله تعالى عنه.

مناقبه وآثاره:

كان رحمه الله مرشداً كبيراً وعارفاً عظيماً، يعتقد الناس فيه ويزورونه ويتبركون به، وله كرامات مذكورة وخوارق مشهورة، وببركته سخر الله الخلق لعمارة المسجد الذي توطنه واختاره له زاوية يعلم فيها العلوم والسلوك، وكذا تجديده وصيانته، حتى بقي عامراً بعده وقد خَرِب العمران الذي حوله بأجمعه، وتوافد عليه العلماء والعارفون وسلكوا الطريق الذي مهده لهم، فأقاموا للدين عماده وأظهروا الحق غضاً طرياً لمريديه.

وفاته:

توفي الشيخ علي بن مروان رحمه الله تعالى يوم الاثنين السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ٧١٥ هجرية، وقبره كان بالخلوة التي أعدها له بزاويته، وعليه قبة مرفوعة وعمارة موضوعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

بلادنا فلسطين

عسقلان

الموقع والتسمية:

مدينة مجدل عسقلان كانت أحد موانئ الفلسطينيين القدماء على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة وتبعد عنها ٢٥ كم، وهي قريبة من الشاطئ على الطريق بين غزة ويافا، وتبلغ مساحة أراضيها ٤٢٣٣٤ دونماً بما فيها مساحة المدينة والتي تُقدّرُ بـــ ١٣٤٦ دونماً، والمجدل كلمة آرامية بمعنى البرج والقلعة والمكان العالي المشرف، وهي بلدة كنعانية قديمة كانت تسمى (مجدل جاد)، وقد بنيت المدينة في المكان الذي وقعت فيه عدة مدن وقرى عربية فلسطينية مهجورة منها: الجورة والمجدل وحمامة، وسميت بعسقلان نسبة إلى الميناء القديم الذي توجد آثاره بالقرب منها.

عسقلان عبر التاريخ:

في عام ١١٥٠ قبل الميلاد سكن الفلسطينيون القدماء المدينة قادمين من جزر البحر الأبيض المتوسط وجعلوها أحد أهم مراكزهم، وفي عام ٦٠٤ قبل الميلاد احتلت الإمبراطورية البابلية برئاسة نبوخذ نصر المدينة من الفلسطينيين مع احتلالها عموم أراضي مملكة يهوذا وبلاد الفلسطينيين، وكان تعامل الجيش البابلي مع سكان المدينة كتعامله مع سكان المدن الأخرى فأحرق المدينة وأجلى سكانها، تم إعادة بناء المدينة في القرن الثالث قبل الميلاد، أي في العهد الهيليني، وأصبحت ميناءً كبيراً، وفي القرن الأول قبل الميلاد احتل الملك اليهودي الحشموني إسكندر يناي محيط المدينة، ولكن المدينة نفسها بقيت مستقلة من ناحية إدارية وثقافية.

من معثورات الحفريات الأثرية التي قام بها لورنس ستاغهار من جامعة هارفرد الأمريكية في ١٩٨٥رومي يبدو أن أول من أسس المدينة كان الكنعانيون سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً، وقد عثر على بقايا المدينة الكنعانية في عمق ١٥ متراً ويقدر حسبها أن عدد سكان المدينة في ذلك الحين بلغ ١٥ ألف نسمة، وأن المدينة كانت محاطة بسور عريضة.

المجدل عسقلان في صدر الإسلام:

فتح المسلمون فلسطين في عهد الخليفة الراشد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وكانت مدينة عسقلان آنذاك مركزها، وتعاقبت عليها يد الفرنجة والصليبيين طمعاً فيها، فمنذ العام ١١٢٤رومي بعد سقوط صور بيد الصليبيين بقيت عسقلان معقلاً وحيداً على الساحل وتصدت لهجماتهم المتكررة إلى أن سقطت بيدهم سنة ١١٥٣رومي، حررها سيدنا صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧رومي من الصليبيين، ولكنهم عادوا واحتلوها مرة ثانية على يد ريتشارد قلب الأسد عام ١١٩٢رومي بعد سقوط عكا بأيديهم، إلا أن صلاح الدين قبل انسحابه من المدينة أمر واليها بهدم المدينة وسورها حتى لا تكون حصناً للفرنجة يقطع الطريق بين مصر والشام، وبعد هذا بدأ نجم عسقلان في الأفول إلى أن دمرت نهائياً سنة ١٢٧٠رومي على يد السلطان الظاهر بيبرس، لتسلم الدور التاريخي إلى المجدل التي تقع على بعد ٦ كم إلى الشمال الشرقي منها.

ومما يميز عسقلان انتساب الكثير من الحفاظ والعلماء إليها، وعلى رأسهم الإمام الحافظ فريد عصره ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله، وتشتهر المدينة بالعديد من مقامات الصالحين والأولياء العارفين، أهمها:

مشهد سيدنا الإمام الحسين عليه السلام:

وهو مقام على تل مرتفع جنوب شرق قرية الجورة وجنوب غرب المدينة يشرف على البحر، وتحيط به منطقة تكثر بها أشجار الجميز والعنب والتوت، وعلى مقربة من الغرب منه تقع جبانة وادي النمل، وبعدها مباشرة تبدأ أسوار مدينة عسقلان التاريخية.

مقام الشيخ عوض:

وهو مقام به مسجد على تل مرتفعة عن سطح البحر، ويقع مباشرة على البحر، تحيط به كروم العنب، ويبعد حوالي ٢ كم شمال قرية الجورة، ولا يزال المقام قائماً، لكنه معرض للخراب بسبب عدم العناية به، وكان المقام مكان تجمع للزائرين والمصلين الذين ينشدون الراحة والاستجمام في أيام الصيف، وكان يجدد باستمرار وتتم العناية به وبنظافته، وللشيخ عوض مكانة سامية في نفوس

الناس مرتبطة بالصلاح والتقوى، ولا يستبعد أن يكون أحد الشهداء المرابطين الصالحين، إلا أن تاريخ حياته ليس معروفاً.

إضافة إلى هذين المقامين الرئيسين، هناك مزارات ثانوية لأناس يعرفهم الناس بصلاحهم وعملهم أهمها: مقام الشيخ برهام في وسط قرية الجورة، ومقام الشيخ محمد في وسط جبانة وادي النمل، ومقام الشيخة خضرة في وسط خرائب عسقلان، ومقام الشيخ نور الظلام وسط المجدل، ومقام الشيخ سعيد ومقام الشيخ محمد الأنصاري، ومقام الشيخ محمد العجمي وغيرهم من الصالحين والأولياء والعارفين.

الفرق بين المجدل وعسقلان:

عسقلان هو الاسم الأقدم للمنطقة عبر التاريخ ومعناه الأرض المرتفعة، وكانت عسقلان قد دمرت عدة مرات عبر التاريخ، وأعيد إعمارها من جديد لتقوم مدينة المجدل وقرية الجورة التي هي إن أضفناها إلى المجدل أصبحت المجدل بالكامل تعني عسقلان، ولكن لا بد من توضيح بعض الأشياء وهي أنه عندما نقول المجدل أو الجورة ننسب كليهما إلى عسقلان فنقول: "مجدل عسقلان أو جورة عسقلان"، ولكن الجدير بالذكر أن أرض المجدل تمثل ما يقارب ٩٣% من أرض عسقلان القديمة، وسكان عسقلان التي دمرت هم الذين بنوا أو سكنوا المجدل من جديد، لذلك فإن المجدل بشكل عام تعني عسقلان، ومما يؤكد ذلك أنك لو بحثت عن آثار عسقلان الشهيرة ستجدها هي الآثار الشهيرة الموجودة في المجدل، وإذا تحدثت عن مسجد عسقلان فإنك تقصد مسجد المجدل الموجود في وسط البلد "المسجد الكبير"، وإن تحدثت عن عائلات عسقلان فإنك تتحدث عن عائلات المجدل، وإذا تحدثت عن سوق عسقلان فهو سوق المجدل، لذلك نعجب ممن يقول أن المجدل يقال لها عسقلان نسبة لآثار عسقلان المتبقية، فهو بقوله يقلل من قيمة عسقلان وكأنها مجرد آثار طمست، وكأن المجدل مدينة أخرى ليس لها علاقة بعسقلان إلا قربها من هذه الآثار، وباختصار فإن أرض عسقلان تشمل أرض المجدل وأرض الجورة حديثاً، وقد بيّنا ما تمثله المجدل من هذه الأرض، وإذا أردنا أن نتحدث عن عدد السكان فقد هاجر أهالي المجدل بالآلاف، بينما هاجر

أهل الجورة بحوالي ٦٠٠ إلى ٧٠٠ شخص حسب ما أورده كتاب (مدن فلسطينية)، وهذا يعني أن المجدل غالب عسقلان، وأن الجورة في حقيقة الأمر هي جزء من المجدل، وإنما هي مجرد أرض منخفضة جرى بين الناس تسميتها باسم الجورة حتى أصبحت شبه منفصلة كقرية وحدها.

قرى قضاء المجدل عسقلان:

إسدود، بربرة، برق أو برقة، برير، بِعْلين، البطاني الشرقي، البطاني الغربي، بيت جرجة، بيت دراس، بيت طيما، بيت عفا، تل الترمس، جسير، الجلدية، الجورة، جولس، الجية، حتا، حليقات، حمامة، الخصاص، دمرة، ديرسُنَيْد، سِمْسِم، السوافير الشرقي، السوافير الشمالي، السوافير الغربي.

عسقلان اليوم:

اشتهرت المجدل بصناعة الأقمشة وكان فيها نحو ٨٠٠ نول لحياكة الأقمشة القطنية والحريرية التي كانت تباع في أسواق فلسطين، لذا تعتبر من أهم مدن فلسطين في صناعة النسيج بل هي الوحيدة، ويعتبر الجامع الكبير فيها من أبرز آثارها، بناه "سيف الدين سلار" من أمراء المماليك عام ١٣٠٠رومي، وكان في مجدل عسقلان مدارس للبنين وللبنات منذ بداية الاحتلال البريطاني، وكان لها مجلس بلدي ابتداء من عام ١٩٢٠رومي، قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم المدينة وتشريد أهلها البالغ عددهم (١١٤٩٦) نسمة، وكان ذلك في ٤/ ١١/ ١٩٤٨رومي، ويبلغ مجموع اللاجئين من هذه المدينة في عام ١٩٩٦رومي حوالي (٧٠٥٩٥) نسمة، ثم بعد هدم المدينة وتشريد أهلها أقام الصهاينة على أراضيها ما يعرف الآن بمدينة (أشكلون).

ولا تزال المدينة حتى اللحظة مرتعاً للاحتلال الصهيوني وعصاباته الغاصبة، نسأل المولى عز وجل أن يكرمنا بتحريرها ببركة الأولياء والصالحين الذين عمروها وجعلوها منارة للعلم والهدى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.